

تفسير البحر المحيط

@ 529 @ اللّٰهَ { عباداً جمع عبد . قال ابن عطية : ومن جموعه : عبيد وعبدّ ي . قال بعض اللغويين : هذه الجموع كلها بمعنى . وقال قوم : العباد ة والعبيد للبشر . وقال قوم : العبد ي إنما يقال في العبيد بني العبيد ، كأنه مبالغة تقتضى الاستغراق في العبودية .

والذي استقرت في لفظة : العباد ، أنه جمع عبد ، متى سقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن فانظر قوله تعالى : { وَاللّٰهَ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } { وَعِبَادُ * مُكْرَمُونَ } { قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ } وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض { إِنْ تَعَذَّبْتُمْ بِهِمْ فَلَا تَزِرْهُمْ عِبَادُكَ } . .

وأما : العبيد ، فيستعمل في التحقير ، ومنه قول امرء القيس : % (قولاً لدودان عبيد العصا % .

ما غركم بالأسد الباسل .

%) .

ومنه قول حمزة بن عبد المطلب : وهل أنتم إلاّ عبيد لأبي ، ومنه { وَمَا رَبُّكَ بِظََّلامٍ لِّلْعَبِيدِ } لأنه مكان تشقيق وإعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم ، وأنه تعالى ليس بظلام لهم مع ذلك ، ولما كانت لفظة العباد تقتضى الطاعة ، لم يقع هنا ، ولذلك أنس بها في قوله : { قُلْ يَا أَهْلَ * عِبَادِىَ * الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ } فهذا النوع من النظر يسلك بك سبيل العجائب في حيز فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية السليمة ، ومعنى قوله : { كُوزُوا عِبَادًا لِّىَ مِنْ دُونِ اللّٰهَ } اعبدوني واجعلوني إلهاً . انتهى كلام ابن عطية . وفيه بعض مناقشة . .

أما قوله : ومن جموعه : عبيد وعبد ي ، أما عبيد فالأصح أنه جمع . وقيل : اسم جمع ، و : أما عبد ي فاسم جمع ، وألفاء للتأنيث . وأما ما استقرأه أن عباداً يساق في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون أن يقترن بها معنى التحقير والتصغير ، وإيراده ألفاظاً في القرآن بلفظ العباد ، وقوله : وأما العبيد فيستعمل في تحقير ، وأنشد بيت امرء القيس ، وقول حمزة وقوله تعالى { بِظََّلامٍ لِّلْعَبِيدِ } فليس باستقراء صحيح ، وإنما كثر استعمال : عباد ، دون : عبيد ، لأن فعالاً في جمع فعل غير اليائي العين قياس مطرد ، وجمع فعل على فعيل لا يطرد . .

قال سيبويه : وربما جاء فعيلًا وهو قليل ، نحو : الكليب والعبيد . انتهى . .
فلما كان فعال هو المقيس في جمع : عبد ، جاء : عباد ، كثيرًا . وأما { وَمَا رَبُّكَ بِظََّلامٍ لِّلْعَبِيدِ } فحسن مجيئه هنا وإن لم يكن مقيسًا أنه جاء لتواخي الفواصل ،
ألا ترى أن قبله { أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ } { وَقَالَواْ }
ءاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ { فحسن مجيئه بلفظ العبيد مواخاة هاتين الفاصلتين ،
ونظير هذا قوله في سورة ق : { وَمَا أَزَاْ ظََّلامٍ لِّلْعَبِيدِ } لأن قبله { قَالَ }
لَا تَخْصِمُوْاْ لَدَيَّْ قَدِّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ { وبعده { يَوْمَ نَقُولُ }
لِّجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ } وأما مدلوله فمدلول : عباد
، سواء . .

وأما بيت امرء القيس فلم يفهم التحقير من لفظ : عبيد ، إنما فهم من إضافتهم إلى
العصا ، ومن مجموع البيت . وكذلك قول حمزة إنما فهم منه معنى التحقير من قرينة الحال
التي كان عليها ، وأتى في البيت ، وفي وقول حمزة على أحد الجائزين . .
وقرأ الجمهور : ثم يقول ، بالنصب عطفاً على : أن يؤتيه ، وقرأ شبل عن ابن كثير ،
ومحبوب عن أبي عمرو : بالرفع على القطع أي : ثم هو يقول . وقرأ الجمهور : عباداً لي ،
بتسكين ياء الإضافة . وقرأ عيسى بن عمر : بفتحها . .

{ وَلََّا كِن كُوزُواْ } هذا على إضمار القول تقديره : ولكن يقول كونوا ربانيين ،
والرباني الحكيم العالم ، قاله قتادة ، وأبو رزين . أو : الفقيه ، قاله علي ، وابن
عباس ، والحسن ، ومجاهد . أو : العالم الحليم ، قاله قتادة وغيره . أو : الحكيم الفقيه
، قاله ابن عباس . أو : الفقيه العالم ، قاله الحسن ، والضحاك . أو : والي الأمر يربهم
ويصلحهم ، قاله ابن زيد .